جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2-

كلية الحقوق والعلوم السياسية

تكملة سلسلة محاضرات السداسي الثاني:

المناهج العلمية

لطلبة السنة الأولى –مجموعة ب-

للأستاذة: بن كسيرة شفيقة

السنة الجامعية 2019-2020

المحاضرة الخامسة

المنهج التجريبي

قائمة المراجع:

- فاضلي ادريس، مدخل الى المنهجية وفلسفة القانون، ط**5**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2014**
- رشيد شميشم، مناهج العلوم القانونية، دار الخلدونية الجزائر، **2006**.
- موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات عملية)، ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سجون، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2004**.
- اليامين بن ستيرة، مناهج البحث العلمي، سلسة محاضرات ألقيت على طلبة السنة الأولى حقوق، جامعة محمد لمين دباغين-سطيف **2** -، كلية الحقوق والعلوم السياسية، **2019-2020**.
- عبد الباسط حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، **1998**.

تصميم المحاضرة:

- **الفرع الأول: مفهوم المنهج التجريبي.**
  أولا: تعريف ومميزات المنهج التجريبي.
  ثانيا: مقومات المنهج التجريبي.
- **الفرع الثاني: مكانة المنهج التجريبي في العلوم القانونية.**
  اولا: تطبيق المنهج التجريبي في العلوم القانونية.
  ثانيا: تقدير قيمة المنهج التجريبي في العلوم القانونية.

مقدمة:

منذ ظهور الانسان تميز بسعيه الى معرفة الطبيعة، وأصبح من السمات الانسانية التجريب واختبار المواد، مثل حجر الصوان لتوليد النار. ولابد من أن الوصول الى هذه النتيجة سبقته خبرات متراكمة من ملاحظات على أنواع الأحجار.

وعند اليونان، استعمله سقراط ومن قبله عرفت نظريات كأصل الكون وطبيعة المادة ...، فكان أبرزهم ديمقراطيس وهو أول من طرح فكرة أن الطبيعة تتألف من ذرات، وهو أول من نادى بأن المعرفة يجب أن تكون يقينية ومجربة على نحو مطلق.

لكن ظل الاتجاه العام هو الاتجاه العقلي، وبقيت التجربة من خصائص اصحاب الحرف والصناعات وأحيانا الأطباء مثل أبو قراط، الذي أثر في مسيرة المنهج التجريبي حيث قام بكسر بيض الدجاج لمعرفة مراحل تطور الجنين.

أما عند المسلمين، فقد تطور المنهج عندهم وكان أشهرهم جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم في البصريات.

و عند الغرب فكانت دراسات روجر بيكن (**1213-1294**) شديدة الاهتمام بالمنهج التجريبي خصوصا في المحركات الآلية، البارود، السفن...، لكنه بدأ يتخذ شكل نظرية فلسفية ايجابية قائمة على أساس متين، منافسة للمذهب العقلي كان في مذهب فرنسيس بيكن (**1561-1652**) حيث يعد مؤسس المادية الجديدة و العلم التجريبي، و واضع أسس الاستقراء العلمي أو ما يعرف النزعة التجربانية ، التي تعرف منعرجا هاما في تاريخ العلم .

الفرع الأول : مفهوم المنهج التجريبي

يعد المنهج التجريبي من أقرب المناهج الى الطريقة العلمية الصحيحة والموضوعية واليقينية في البحث عن الحقيقة، واكتشافها وتفسيرها والتنبؤ بها، وهناك عدة محاولات لتعريف هذا المنهج. ما هو هذا المنهج، وما هي خصائصه ومميزاته؟

أولا: تعريف المنهج التجريبي ومميزاته.

1-تعريف المنهج التجريبي

يهدف المنهج التجريبي الى اقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر والمتغيرات، ولإقامة العلاقة بين السبب والنتيجة فإننا نقوم بإجراء التجربة التي يتم من خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغير محتواه عدة مرات، أو يسمى هذا المتغير بالمتغير المستقل. هذه العملية تسمح بدراسة أثار المغير المستقل في المتغير الذي يتلقى تأثيره الذي يسمى بالمتغير التابع، و بالتالي يمكن تعريف المنهج التجريبي كالآتي **:** " هو محاولة لضبط كل العوامل الأساسية المؤثرة في المتغير أو المتغيرات التابعة في التجربة ما عدا عاملا واحدا يتحكم فيه الباحث و يغيره على نحو معين بقصد تحديد و قياس تأثيره على المتغير أو المتغيرات التابعة " **. أو** "هو تغير متعمد **ومضبوط** للشروط المحددة لواقعة معينة وملاحظة التغيرات الناتجة في هذه الواقعة ذاتها وتفسيرها".

ولعل أبسط مثال بالنسبة للطالب: ما كان يقوم بتجربته طيلة سنوات الدراسة حول مدى تأثير الضوء على نمو النباتات في درس شروط نمو النبات حيث يقوم في كل مرة بالتحكم في المتغيرات المتمثلة في الماء ونوعية التربة، أنواع النبات، الهواء، ويقوم بالتحكم في الضوء باعتباره متغير مستقل. حيث نقوم بالتجربة مع إناءين، بعد التحكم في المتغيرات. إناء يتعرض للضوء وإناء يتم تغطيته. لنصل الى أن الضوء ضروري في حياة النبات.

2- مميزات المنهج التجريبي

- يعد أقرب المناهج الى الطريقة العلمية، نظرا الى مصداقية النتائج وقابليتها للتكرار، مما دعا البعض الى القول بأن العلم الذي لا يستعمل التجريب ليس بعلم (وهو رأي متطرف).
- منهج علمي خارجي (التجربة خارجة من العقل).
- منهج موضوعي لأن النتائج تفرض نفسها على العقل حتى وان تعارضت مع رغبات الباحث.
- القدرة على دعم العلاقات السببية (التفسير / التنبؤ / التحكم).
- تعد العلوم الطبيعية المجال الخصب للمنهج التجريبي.

ثانيا : مقومات المنهج التجريبي

يقوم المنهج التجريبي على الاسس التالية

1-الملاحظة: تنقسم الملاحظة الى قسمين

أ- **الملاحظة البسيطة:** وهي الانتباه العفوي الى حادثة أو ظاهرة ما دون قصد أو اصرار، وقد كان لها الفضل في اكتشاف بعض القوانين مثل قانون الجاذبية، والكتلة لأرخميدس.

ب-الملاحظة العلمية: وهي تلك المشاهدة الحسية المقصودة والمنظمة والدقيقة للحوادث والظواهر بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها ونظرياتها .1
حيث يتحكم الكاتب في المتغيرات ويلاحظ مدى تأثيرها على الظاهرة.
وتتمحور شروطها كالتالي:

- جمع المعلومات الكافية عن الظاهرة موضوع الملاحظة.
- أن يكون الملاحظ مؤهلا علميا وملما بالجوانب النظرية للموضوع.
- تحديد أهداف التجربة
- أن تكون كاملة وشاملة مع التركيز على الجوهر دون الأمور العارضة.
- استخدام الوسائل العلمية والأجهزة اللازمة للملاحظة.
- أن تكون نزيهة وموضوعية.
- وضع وسيلة ملائمة لتسجيل النتائج (مخطط للملاحظة)

كما تقسم الملاحظة حسب دور الباحث في الظاهرة.

أ- **الملاحظة بالمشاركة:** حيث يتخذ الباحث دورا ايجابيا في حدوث الظاهرة حيث يشارك في حدوثها مثل: مشاركة المساجين حياتهم.
ب-الملاحظة غير المشاركة: يتخذ الباحث موقفا حياديا.

2-الفرضيات:

هي تفسير مؤقت للظاهرة لا تزال بمعزل عن امتحانها بالتجربة، حتى إذا امتحنت في الواقع أصبحت إما فرضا زائفا يجب العدول عنه، وإما قانونا يفسر مجرى الظواهر.

يجب أن تصاغ في **عبارة تقريرية** كأن نقول: توجد فروق حقيقية في التحصيل العلمي بين الطلبة الذين يستخدمون الاعلام الآلي والطلبة الذين لا يستخدمونه. أو صياغة صفرية: لا أثر لاستخدام الاعلام الآلي في التحصيل العلمي. الفرضية الجديدة هي التي تحتوي على المتغيرين والعلاقة بينهما.

2-التجريب:

بعد صياغة الفرضيات يأتي الباحث الى تقسيم هذه الفرضيات من حيث كونها صحيحة أم خاطئة، وطبقا لقواعد المنهج التجريبي يسلك الباحث المراحل التالية وذلك بعد أن:

- يستبعد الفرضيات الزائفة (التي تتعارض مع ما هو مسلم به العلم)

-يحاول الباحث اثبات صحة كل الفروض، والإطالة في التجربة تغيير الوسائل المستعملة في التجربة.

المرحلة الأولى: تصميم التجربة

يأتي تصميم التجربة عن طريق تحديد المتغيرات أو العوامل التي ينطوي عليها الموقف التجريبي وهذه العوامل هي:

- المتغير الحر (المستقل): المراد دراسة أثره
- المتغير التابع: وهو العامل الناتج عن المتغير الحر. فالمتغير الحر هو الذي يراد دراسة أثره في الظاهرة ويمكن تغييره مثال: البطالة تؤدي الى الانحراف، البطالة هو المتغير الحر (المستقل)، والانحراف هو المتغير التابع فهو العامل الذي يتبع العامل المستقل ويظهر كنتيجة حتمية له.

عوامل أخرى تؤثر في الظاهرة يجب ضبطها وعزل أثرها، فسوء التربية يعتبر عاملا آخر للانحراف، كما تعد العوامل الثقافية والتعليمية عواملا للانحراف ... فالعزل يعتبر حجر الزاوية في الدراسات التجريبية. وتوجد عدة طرق لضبط هذه العوامل:

الطريقة الأولى: طريقة المجموعة الواحدة، حيث يستعمل الباحث مجموعة واحدة كمجوعة تجريبية وضابطة في نفس الوقت، اذ يدرس الباحث سلوكيات وخصائص المجموعة قبل ادخال المتغير الحر ويلاحظ ما طرأ عليها من تغيير.

مثال: يؤدي ممارسة نزلاء السجون للشعائر الدينية الى تعديل سلوكياتهم الى الأفضل. ادخال التعليم وتحفيظ القرآن على مجموعة من المساجين ودراسة تأثير العلم الشرعي على المسجونين. فتكون العينة ذاتها دراستها نفسيا وعقليا وسلوكيا، ثم ادخال المتغير المستقل وهو التعليم الشرعي.

الطريقة الثانية: طريقة المجموعتان، وهنا يختار الباحث مجموعتان يتميز أفرادها بنفس المميزات من حيث السن ودرجة الذكاء والمستوى الاجتماعي وغيرها من العوامل، ويدخل المتغير الحر على احدى المجوعتين وتسمى المجموعة التجريبية، ويطلق على المجموعة الثانية بالمجموعة الضابطة وهي التي لا يدخل عليها المتغير الحر، ثم يلاحظ مدى تأثير المتغير على المجوعة الأولى. مثال: تأثير السفريات العلمية على تكوين الأساتذة في الجامعة.

تتكون الدراسة بين مجموعتين من الأساتذة مع ضبط كل العوامل والمتغيرات، وملاحظة تأثير المتغير المستقل على تكوين الأساتذة.

أو الفرضية السابقة بأن تختار جماعتين من النزلاء يشتركان قدر الامكان في الحالة الاجتماعية العمر، والثقافة، ومدة العقوبة، ونوع الجريمة، وكلما زادت أوجه التماثل بين المجموعتين كان ذلك أدعى للتحقق من صحة الفرض، ثم تعرض احدى الجماعتين (التجريبية) الى البرامج الدينية ودروس الوعظ وتوفير سبيل أداء الصلاة لمدة كافية (ثلاث أشهر على الأقل) دون الجماعة الضابطة، ثم نقيس اتجاهات الجماعتين نحو الاقدام على التوبة واعلان الندم على ما حدث بالأساليب الاحصائية.

- **الطريقة الثالثة:** أو طريقة المجموعة الدائرية، هي التي تكون فيها كلا المجموعتين تجريبية وضابطة في وقت واحد، بمعنى يدرس خصائص المجموعتين قبل ادخال المتغير الحر ثم يدخل المتغير الحر ويلاحظ ما دخل على المجموعتين أو عينتين تكون تجريبية أي قبل ادخال المتغير المستقل وضابطة بعد ادخالها بعد ادخالها.

- **المرحلة الثانية: تنفيذ التجربة**

بعد تصميم التجربة على الباحث أن ينفذ المخطط الذي وضعه بدقة ووفق مرحلة منطقية، وعليه ان يلاحظ بدقة النتائج ومدى تحقق الفرضيات.

الفرع الثاني: مكانة المنهج التجريبي في العلوم القانونية

اتجه جمهور الباحثين في حقل العلوم الانسانية والاجتماعية الى استخدام المنهج التجريبي، مع اسقاط بعض الفروق والخصائص التي تميز علما عن آخر ليبقى في النهاية ما هو مشترك في كل العلوم بغض النظر عن موضوعه مثل: التحليل، والتركيب، والتعميم والتنسيق والتصنيف والاحتمال، والاستقراء .... فكيف طبق علماء الاجتماع المنهج التجريبي، وما هي مكانته في هذه العلوم؟

أولا: تطبيق المنهج التجريبي في العلوم القانونية.

باعتبار أن العلوم القانونية هي جزء من العلوم الاجتماعية، والسلوكية على أساس ان الهدف هو تنظيم المجتمع من اجل تحقيق المصالح العامة المشتركة وتوفير الأمن.

فالعلوم القانونية تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من أجل تفسيرها والتنبؤ بها وضبطها وتطبق عليه مناهج البحث العلمي بنوع من التخصيص والتكييف والملاءمة بالقدر اللازم لدواعي، ومتطلبات، وخصوصيات طبيعة العلوم القانونية

طبق المنهج التجريبي في العديد من الظواهر القانونية والادارية، مثل:

- الدراسات المتعلقة بظاهرة العلاقة القانونية بالحياة الاجتماعية.
- ظاهرة الجريمة وفلسفة التجريم والعقاب.
- دراسات حول خلق السياسات التشريعية والقضائية (موضوعيا واجرائيا)

- ترابط ظاهرة الادارة وكل من علم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الانتروبيولوجيا، ظاهرة الحوافز، التخصص، القيادة الإدارية، الرقابة الادارية، تدرج السلطة ...ا لخ.

1- المنهج التجريبي ودوركايم والقانون:

استخدم دور كايم المنهج التجريبي في تفسير ظاهرة العلاقة بين القانون والروابط الاجتماعية وعملية التأثير المتبادل والمضطر في كتابة تقسيم العمل الاجتماعي **1893** وكذا مقالة المعنون "قانون التطور الجنائي" المنشور بدورية علم الاجتماع. وتوصل الى:

- حتمية حاجة الحياة الاجتماعية للقانون لتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي.
- ان الجماعة بحاجة الى القانون الجنائي الرادع أكثر من حاجتها الى القانون المدني
- كل ما كان المجتمع بدائي كان القانون الجنائي صارما، وتقل الصرامة كلما كان المجتمع متقدم اجتماعيا وثقافيا وحضاريا وسياسيا واقتصادية.

2-المدارس الوضعية في العلوم الجنائية:

طبقت المدارس الوضعية الاجتماعية في العلوم الجنائية المنهج التجريبي في البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بظاهرة الجريمة من حيث أسبابها ومظاهرها وعوامل الوقاية والعلاج منها وكذا في دراسة وبحث فلسفة التجريم والعقاب. مع حتمية التكامل بين العلوم الجنائية وعلم النفس الجنائي، وعلم الطب النفسي وعلم الوراثة...

3-المنهج التجريبي و لومبروزو :

درس الطبيب الإيطالي (لومبروزو) اشكالية تأثير التخلف العضوي أو الخلقي في تطور السلوك الاجرامي. حيث قام بإجراء فحوصات على بعض المجرمين الأحياء والأموات بهدف الوصول الى نتائج الفرق بين الانسان

المجرم والانسان السوي. توصل (لومبروزو) الى أن المجرم انسان بدائي، يتميز بملامح خاصة توفرت فيه عند الوراثة وأنه مطبوع على الاجرام.

2-ماكس فيبر: العلاقة بين المجتمع الصناعي والنمط البيروقراطي والقانون

ثانيا: تقدير قيمة المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية والقانونية.

إن المنهج التجريبي يحمل بصمات علوم الطبيعة، حيث يعتبر هو منهجها النموذجي[1]. أما استعماله في العلوم الانسانية فهو محدود لأسباب متنوعة.

أولا، لأن ظواهر العلوم الانسانية لا تحتمل القياس دائما كما يطلبه تحليل النتائج التجريبية.

ثانيا، لأن موضوع الدراسة وهو في هذه الحالة الكائن البشري لا يمكن اجراء التجارب عليه ارادیا عكس موضوع علوم الطبيعة، لهذا فان الأخلاقيات واحترام حقوق الأشخاص تتطلب رضا الشخص بالمشاركة في التجربة.

وأخيرا فان تعقيد بعض الظواهر الانسانية لا يمكن ارجاعه الى العلاقة البسيطة الرابطة بين السبب وأثره حيث صعوبة عزل المتغيرات في الظواهر السلوكية لأن هذه الأخيرة غير ملموسة، وقد لا يتاح لعقل الباحث تحديد كل متغيرات الظاهرة، مما يؤدي الى نتائج غير كاملة.

كما يعاب على المنهج التجريبي في العلوم الانسانية أن التجارب فيه تكون مصطنعة حيث يوجهها الباحث على النحو الذي يريده كما أن أفراد العينة الموضوعين تحت الملاحظة قد يصطنعون انطباعهم وسلوكهم مما يعطي للباحث نتائج خاطئة. كما أن بعض الاشكاليات قد تستغرق زمنا طويلا لإعداد

[1] - ان علوم الطبيعية أصل المنهج التجريبي، ولمدة طويلة لم يستخدم هذا المنهج الا لأهداف مادية، لأن الاعتقاد الذي كان سائدا هو أن هذا المنهج غير صالح للاهتمام بالإنسان، لكن وبفضل الطب في العلوم المرتبطة بهذا التخصص بدأ المنهج التجريبي يمتد تدريجيا الى دراسة الاحياء ثم الى دراسة الانسان بصفة خاصة. يعد الفيزيولوجي Claude Bernard (1913-1978) الذي قام بصياغة القواعد الأساسية في كتابه "مقدمة لدراسة الطب التجريبي" من وسع علم النفس بالاشتراك مع الفيزيولوجيا. هكذا ظهر الى الوجود أول مخبر علمي في علم النفس في ألمانيا سنة 1897، منذ ذلك الحين بدأ يؤذن أو يسمح بالتجربة على الانسان ولكن بتوفر شروط معينة (انظر موريس انجرس، ص104)

التجربة مثل قياس درجة الوعي القومي لدى الطلاب قبل المرحلة الجامعية وبعد تخرجهم من الجامعة. بالإضافة الى متطلبات الانفاق على البحث التي تكون باهضه.

ولكن رغم ذلك يجب عدم المبالغة في طرح الصعوبات في استخدام هذا المنهج في العلوم الانسانية، فالملاحظة والتجربة هي من نوع خاص، أما مسألة عزل المتغيرات فهي مرهونة بقدرة الباحث ومهارته.

ولا بد التنويه الى أهمية هذا المنهج في العلوم القانونية خصوصا ميدان العلوم الجنائية والعلوم المساعدة لها. وأهم المواضيع التي أثارت اهتمام العديد من الفقهاء مسألة أسباب الجريمة أو العوامل التي تدفع الانسان لارتكاب الجريمة حيث حدد العلماء متغيرات هذه الظاهرة على النحو التالي:

- عوامل داخلية للإجرام: وهي الوراثة، التكوين الحضور ي، التكوين العقلي، التكوين الغريزي، الصفات والطبائع، الجنس، السن، الأمراض العقلية، الادمان على المخدرات.
- عوامل خارجية: وهي العوامل البيئية للمجرم، العوامل الطبيعية، العوامل الاجتماعية، العوامل الاقتصادية والثقافية، كل هذه العوامل تؤثر في الجريمة وتعتبر سببا لها، ولعل فشل (لومبروزو) رائد المدرسة الوضعية في تفسير ظاهرة الاجرام، هو اعتماده على متغير واحد، وهو الصفات الخلقية للمجرم، كما اشتملت نظريته على عيوب في المنهج المستخدم، لعدم تحديده للمتغيرات وعزلها، فانعكس سلبا على نتائج نظريته.

كما ساهم علم النفس القضائي، الذي يدرس نفسية الأشخاص الذين يساهمون في سير الدعوى العمومية كقضاة، والشهود والمدعى وغيرهم، وأثبت أن نفسية الشهود بصفة خاصة تؤدي في أحوال كثيرة الى صعوبة الاعتماد على الشهادة كوسيلة من وسائل الاثبات.